

جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة جيجل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الفرق بين السيميولوجيا والسيميوطيقا

The Difference Between Semiology and Semiotics

السنة الأولى ماستر
من إعداد:
الدكتورة سامية بوكحيل

2024

المخلص

تتناول هذه الورقة البحثية التمييز بين السيميولوجيا والسيميوطيقا كمدرستين مؤسستين في علم العلامات. تُبين الورقة أن السيميولوجيا مصطلح يُنسب إلى التقليد السويسري الفرنسي الذي ينطلق من اللسانيات ويركّز على البنية الداخلية للعلامة كثنائية الدال والمدلول، في حين أن السيميوطيقا مصطلح يُنسب إلى التقليد البيبرسي الأنجلو-ساكسوني الذي ينطلق من المنطق والبراغماتية ويركّز على العملية العلامية بأبعادها الثلاثة: التمثيل والموضوع والمؤول. وتستعرض الورقة أوجه الفرق في المنطلق المعرفي والمنهج والنموذج العلامي والتأثير الأكاديمي، مع الإشارة إلى اتجاه التقارب بين المدرستين في الدراسات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: السيميولوجيا، السيميوطيقا، سوسير، بيرس، الدال والمدلول، التأويل، البراغماتية

المقدمة

يُثير التمييز بين السيميولوجيا والسيميوطيقا جدلاً معرفياً مهماً في حقل الدراسات العلامية، إذ يتعلّق الأمر بمدرستين مؤسستين تختلفان في منطلقاتهما ومناهجهما وغاياتهما. فالسيميولوجيا (Sémiologie) مصطلح فرنسي يُنسب إلى فرديناند دي سوسير، بينما السيميوطيقا (Semiotics) مصطلح أنجلو-ساكسوني يُنسب إلى تشارلز سندرز بيرس. ورغم أن كليهما يعالج علم العلامات، فإن الفروق بينهما ليست مصطلحية فحسب بل تمسّ صميم الرؤية المعرفية والمنهجية. وتسعى هذه الورقة إلى رصد أبرز أوجه الفرق بين المدرستين مع الإشارة إلى نقاط التقارب.

أولاً: الاختلاف في المنطلق المعرفي

تنتطلق السيميولوجيا من اللسانيات، إذ اعتبر سوسير أن اللغة هي النموذج المثالي والأساسي لدراسة أنظمة العلامات جميعها. فالسيميولوجيا عنده فرع من علم النفس العام، ومهمتها توضيح ما تجعله العلامات من جملة أسباب. أما السيميوطيقا فتنتطلق من المنطق والفلسفة البراغماتية، حيث عرّفها بيرس بأنها "المنطق الشكلي للعلامات"، معتبراً أن كل فكر يقع بالضرورة في علامات. وهكذا يكون المنطلق السويسري لغوياً نسبياً، بينما المنطلق البيبرسي فلسفيّ شامل يُحيط بكل أشكال التفكير والتواصل دون حصرها في النموذج اللغوي.

ثانياً: الاختلاف في النموذج العلامي

يُقَدِّم سوسير نموذجاً ثنائياً للعلامة يتألف من الدال (الصورة السمعية) والمدلول (المفهوم)، والعلاقة بينهما تعسفية لا تقوم على مشابهة أو سببية. فالعلامة عنده كيان مغلق على بنيته الداخلية، ومعناها يتحدد بمعارضتها لغيرها من علامات النظام. في المقابل، يُقَدِّم بيرس نموذجاً ثلاثياً يتكوّن من التمثيل (الشكل المادي للعلامة) والموضوع (ما تشير إليه) والمؤول (الأثر التأويلي). وهذا النموذج مفتوح بطبيعته، إذ إن المؤول نفسه علامة جديدة تُنتج مؤولاً آخر، مما يفتح باب التأويل اللامتناهي. فحيث يُخلَق سوسير العلامة على ثنائيتها الداخلية، يفتحها بيرس على سلسلة تأويلية لا متناهية.

ثالثاً: الاختلاف في المنهج والنطاق

تعتمد السيميولوجيا منهجاً بنوياً تركيبياً يدرس العلامات من خلال علاقاتها الداخلية ضمن نظام مغلق، ويميل إلى تقديم تحليلات متزامنة تُركّز على بنية النظام في لحظة معينة دون اعتبار للتاريخ أو السياق. أما السيميوطيقا فتعتمد منهجاً براغماتياً يدرس العلامات في سياق استعمالها الفعلي ويأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي والاجتماعي. ومن ثمّ كان نطاق السيميولوجيا أضيق نسبياً لأنها تُركّز على الأنظمة العلامية المنظمة كاللغة والأسطورة والموضة، بينما نطاق السيميوطيقا أوسع لأنه يشمل كل أنواع العلامات بما فيها الأيقونات والإشارات الطبيعية والتجارب الحسية.

رابعاً: الاختلاف في تصنيف العلامات

لم يُقدّم سوسير تصنيفاً مفصلاً لأنواع العلامات، بل اكتفى بالتمييز بين الدال والمدلول كوجهي العلامة الواحدة، مع الإشارة إلى أنواع مختلفة من الأنظمة العلامية كاللغة والكتابة وطقوس التعزير والموضة. في حين قدّم بيرس تصنيفاً ثلاثياً مفصلاً يعتمد على علاقة العلامة بموضوعها: الأيقون الذي يشبه موضوعه، والإشارة التي ترتبط به بعلاقة سببية، والرمز الذي يرتبط به باتفاق تعسفي. ويُعدّ هذا التصنيف من أكثر الإسهامات البيبرسية أثراً في الدراسات السيميوطيقية المعاصرة، إذ يُوفّر أداة تحليلية مرنة تنطبق على مختلف أنواع العلامات.

خامساً: التقارب بين المدرستين

رغم الفروق المذكورة، يتجه الباحثون المعاصرون نحو التقارب بين المدرستين والاستفادة من إسهامات كليهما. فقد أصبح التمييز بينهما أقل حدة في الدراسات الحديثة، حيث يستخدم كثير من الباحثين المصطلحين بوصفهما مترادفين في سياقات كثيرة. كما أن أعمال أمبرتو إيكو مثّلت جسراً بين التقليدين، حيث استلهم من بيرس مفهوم اللامحدودية السيميوطيقية ووظّفه ضمن إطار تحليلي يستند أيضاً إلى إسهامات سوسير البنوية. والمهم هو أن كلا التقليدين أسهم بشكل جوهري في إرساء علم العلامات كحقل معرفي مستقل ومتعدد التخصصات، وأن التقارب بينهما يُثري هذا الحقل بدلاً من أن يُضعفه.

الخاتمة

يتبيّن من خلال هذه المقارنة أن الفرق بين السيميولوجيا والسيميوطيقا يتجاوز المستوى المصطلحي ليمسّ الرؤية المعرفية والمنهجية: فالسيميولوجيا مقاربة بنوية لغوية المركز تعلق العلامة على بنيتها الداخلية، والسيميوطيقا مقاربة براغماتية منطقية المركز تفتح العلامة على سياقاتها التأويلية. غير أن هذا الاختلاف لا يُلغي التكامل بينهما، إذ تُوفّر السيميولوجيا أدوات دقيقة لتحليل بنيات الأنظمة العلامية، بينما تُوفّر السيميوطيقا إطاراً شاملاً لفهم العلامات في تنوعها وديناميكيّتها. والتقارب المعاصر بين المدرستين يُعبّر عن نضج الحقل السيميولوجي وقدرته على استيعاب مقاربات متعددة.

المراجع

- دي سوسير، فرديناند. (1916). محاضرات في اللغويات العامة. ترجمة يوثيل يوسف عزيز. دار الشروق.
- بيرس، تشارلز سندر. (1931-1958). الأعمال الكاملة. دار هارفارد للنشر.
- إيكو، أمبرتو. (1976). نظرية السيميوطيقا. ترجمة سعيد بنكراد. دار توبقال.
- إيكو، أمبرتو. (1990). حدود التأويل. ترجمة انطوان أبو زيد. دار توبقال.
- بارت، رولان. (1964). عناصر السيميولوجيا. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال.
- موريس، تشارلز. (1938). أسس نظرية العلامات. دار شيكاغو للنشر.